المقتطف

الجزء الرابع من السنة السادسة عشرة

١ يناير (كانون ٢) سنة ١٨٩٢ الموافق ١ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩

الخيالات والتخيُّلات

وخلاصة مباحث العلماء فيها

وُجد زيد قتيلاً في داره ولم يُعلَم قاتله ولا اهتدى رجال الشحنة اليه . وجاء عمرٌو مجلس القضاء وادَّعى ان روح زيد هذا تجلَّت له واخبرته ان خالدًا هو القاتل . ثم جاء بِشْرٌ وادَّعى انهُ رأى طيف زيد في اليوم الذي قُتِل فيهِ وسمعهُ يقول لهُ ان خالدًا قد اراق دمي فلا تكتم امرهُ . وعمرٌو وبِشْرٌ من العلماء الفضلاء المشهود لهم بالعفَّة والاستقامة فهل يقبل القضاة شهادتهما ويحكمون بموجبها على خالد . كلاَّ . ولو حكموا بموجبها للامهم الجمهور وحسب انهم خالفوا الشرع والعرف . وقِسْ على ذلك ارباب الزراعة والصناعة والتجارة فانهم كلهم لا يبنون احكامهم وبعاملاتهم على الهواجس والاحلام ولا على الخيالات والتخيُّلات لعلمهم انها تصيب مرةً وتخطئُ الف مرة فاصابتها من قبيل الاتفاق النادر الذي لا يبنى عليهِ حكم . ولكنَّ الناس يستغربون ما يُروى عن الخيالات والتخيُّلات والهواجس والاحلام ويحسبون ان لها علَّةً روحيَّة وينهافت عامتهم على المدَّعين معرفة الغيب بها تهافت الفراش على السراج فلا ترى مشعوذًا من المشعوذين جالسًا في شوارع القاهرة حتَّى ترى حولهُ كثيرات من النساء عن تسألهُ عن زوجها الغائب وتلك عن ابنها المريض . ولا يختصُّ ذلك بالعامة بل يشترك فيهِ بعض الخاصَّة فيدَّعون المشعوذين الى بيوتهم يضربون المندل والرمل ويستعملون الزار والتنويم ونحو ذلك من طرُق التكهُّن لمعرفة الغيب واكتشاف ما يتصرعنهُ العقل والعلم

وقد ذكرنا غير مرة ان مسالة الخيالات والتخيُّلات شغلت افكار فريق من كبار العلماء فالَّفوا مجمعًا للبحث فيها سموهُ مجمع العلوم النفسيَّة الامتحانيَّة ووسَّعوا نطاق الاستقراء

بمسائل نشروها في اقطار المسكونة وطلبوا من كل محبي المباحث العلمية الاجابة عليها . وقد لخصنا كثيرًا من مباحثهم واقوالهم في المجلدات الماضية من المقتطف

ولما اجتمع مؤتمر علماء العلوم النفسية الاختبارية في مدينة باريس منذ سنتين قرَّ رأي اعضائه على استئناف البحث والاستقراء وعيَّن الاستاذ هنري سدجوك لهذا الامر في انكلترا والاستاذ وليم جمس في اميركا . ونشر الاستاذ سدجوك مسائل كثيرة في هذا الموضوع وطلب من محبي المعارف الاجابة عليها بالتدقيق فكتبت اليه احدى النساء تقول كنت مساء الحادي والعشرين من شهر يناير عام ١٨٩٠ اقرأ قصيدة من اشعار اللورد تنيسن وآخر كلمة وقع نظري عليها كلمة "روفر" . واصابت امي حينئذٍ نوبة عصبية فقلقتُ عليها وبتُّ تلك الليلة ولم يذق جفني الكرى لشدة اشتغال بالي وبعد نصف الليل بنحو ساعتين رأيت نورًا مشرقًا على طرف السرير فاحدقت اليه واذا فيه صورة كتاب مفتوح وفي الكتاب كلمة مكتوبة بحروف سوداء فتبيَّنتها جيدًا واذا هي كلمة "روفر" فحرت في امري ولم افهم المراد منها وكانت افكاري لم تزل مشغولة بما اصاب امي ثم خطر لي ان هذه الكلمة هي آخر كلمة وقع نظري عليها في اشعار تنيسن التي كنت اقرأها قبلما اصابت امي النوبة العصبية فعلمت انها صورة خيالية صوَّرها في مخيلتي ما اصابني من الاضطراب العصبي واشتغال البال على والدتي

وقال الاستاذ سدجوك معقبًا على ذلك لو كانت هذه المرأة في العصور المظلمة وكانت الكلمة الاخيرة التي وقع نظرها عليها كلمة موت او ويل او ما اشبه ثم صوَّرها لها الوهم في حالك الظلام لحكمت بانها إلهام الهي او خداع شيطاني ينبئها بمصيرامها على اثر النوبة التي اصابتها

وكتبت اليه امرأة جرمانية تقول انها كانت سائرة وحدها في احدى الليالي سنة ١٨٨٥ الى بيت احدى جاراتها وكان القمر بدرًا فرأت بجانب الطريق امرأة جالسة على حجر وكأنها نائمة وكان البرد شديدًا فشفقت عليها وتقدَّمت نحوها لتوقظها فلما اقتربت منها رأتها لابسة مثلها ثم نظرت اليها فاذا هي تشبهها تمامًا حتَّى كأنها رأت نفسها في مرآة ولكنها لم تلبث الاَّ لحظة من الزمان حتَّى اختفت من امام عينيها . وقد رأت هذه المرأة صورتها مرة اخرى قبل ذلك ولم ينلها من رؤيتها نفع ولا ضرر

وهاتان الحادثتان مثال لحوادث كثيرة تجسَّم فيها الصور الذهنية امام المخيلة فيتوهم الانسان انه يراها في الخارج وهي لا توجد الاَّ في مخيلته . وجميع الصور التي ترى في الاحلام

هي من هذا القبيل وكذا الاصوات التي تُسمع في اليقظة والمنام وهي ليست من هاتف خارجي فانها شعور داخلي يتوهمهُ الانسان خارجًا عنهُ لضعف في بعض المراكز العصبية. وتزيد هذه الخيالات والاصوات في الامراض العصبية والحميات التي يصحبها هذيان واضطراب في وظائف الدماغ كما لا يخفى على احد . وهذا النوع من الخيالات والتخيلات مشهور وتعليلهُ طبيعي لا ينازَع فيهِ فلا نطيل الكلام عليهِ

وكتبت اليهِ احدى الفتيات تقول

مرضت امرأة مسكينة اسمها مسز انس مرضًا مؤلمًا سنة ١٨٨٦ وكنتُ اعودها مرارًا واسلّيها على مصابها ثم اشتدَّ المرض عليها في شهر اكتوبر ولكن لم يظهر لي ان وفاتها قريبة وكنتُ في احد الايام جالسة مع امي في غرفة المائدة بعد العشاء فرأيت هذه المرأة المريضة دخلت الغرفة من باب وخرجت من باب آخر مقابل لهُ فصرختُ قائلةً مَن هذه فالتفتتْ امي اليَّ وقالت مالكِ فقلتُ لها انني رأيتُ امرأةً دخلت هذه الغرفة وخرجتْ منها وهي مثل مسز انس المريضة تمامًا . وفي اليوم التالي سمعنا ان المرأة توفيت

وكتبت والدة هذه الفتاة تقول راجعتُ كتاب اليوميَّة الذي اكتب فيهِ حوادث حياتي فوجدتُ مكتوبًا فيهِ بتاريخ ١٩ اكتوبر ما يأتي "لقد ازعجتنا ابنتي البارحة بعد العشاء بقولها انها رأتْ صورة مسز انس دخلت غرفة المائدة وخرجت منها وقد بلّغنا هذا الصباح انها ماتتْ ووجدنا لدى البحث انهُ اصابتها غيبوبة البارحة في نحو الوقت الذي رأت ابنتي طيفها فيهِ واسلمت الروح هذا الصباح

وكتب اليهِ احد الاطباء من اميركا يقول انهُ كان سنة ١٨٦٧ في خدمة الحكومة فارسلتهُ الى حصن في ولاية اركنساس وبقيت امرأتهُ في ولاية مسيغان على ثلثمئة ميل منهُ واضطرَّ ان يبتعد عن مكان البريد فلم يكاتب امرأتهُ ولم يأتهِ منها كتاب مدة ثلاثة اسابيع او اربعة ثم عاد الى الحصن وقرأ المكاتيب التي وردت في غيابهِ من امرأتهِ وقضى جانبًا من الليل وهو يجيبها عليها فلم ينم نومًا كافيًا واراد ان ينام قليلاً في اليوم التالي لبعوّض ما اضاعهُ في الليل فدخل غرفتهُ عند الظهر واضطجع على سريرهِ فسمع صوت واحد دنا من الغرفة وفتح الباب واقترب من السرير فالتفت واذا امرأتهُ واقفة امامهُ فنهض مندهشًا وقال لها متى اتيتِ — اراكِ متعبةً ولا عجب فقد سافرتِ ثلثمئة ميل . فقالت نعم انني متعبة ثم دنا منها فاختفت من امام عينيهِ ولم يرَ احدًا فطلب الباب فوجدهُ مقفلاً كما تركهُ فقلق من جرّاء ذلك قلقًا شديدًا واوجس خيفة ان تكون امرأتهُ قد قضت نحبها فجمع ما بقي فيهِ من

القوة وكتب اليها واخبرها بما رأى ووصف لها اللباس الذي رآها فيهِ والخاتم الذي رآهُ في يدها والعقد الذي رآهُ في عنقها فاجابتهُ على كتابهِ تقول انني في اليوم الذي رأيت طيفي فيهِ لبستُ اللباس الذي ذكرتهُ والعقد والخاتم اللذين رأيتها تمامًا ثم شعرتُ بشيء من التعب فاضطجعت على سريري قبل الظهر بساعة ونمت ثلاث ساعات متوالية

وكتبت هذه المرأة تؤيد ما ذكرهُ زوجها وتقول انها حفظت مكتوبها ومكتوبهُ سنين كثيرة ثم اضاعتها وان زوجها رأى رؤًى مثل هذه اربع مرات اخرى ولم تتفق رؤية الشخص مع وقت موتهِ

وقد ورد على الاستاذ سَدْجُوك ٦٤٨١ جوابًا على مسائلهِ ورأى فيها ذكر رؤًى كثيرة لم تُصب وذكر رؤًى اخرى اصابت . ويظهر لنا انهُ اضطرب في حكمهِ عليها فقال اولاً ان الرؤى التي اصابت لم تكن اصابتها الاَّ اتفاقية لانها قليلة جدًّا بالنسبة الى الرؤى التي لم تُصب فلو كانت كثيرة مثلها لما امكن ان تكون اصابتها من قبيل الاتفاق . ثم لما جاء الى ذكر الرؤى التي اصابت والتي اخطأت قال ان الاولى ١٢ والثانية ٦٧ . ومعلوم ان ١٢ رؤيا ليست بالشيء القليل حتَّى يقال ان اصابتها كانت من قبيل الاتفاق . الاَّ اننا لا نرى في ما ذكرهُ دليلاً على صحة هذه الرؤى لاسيَّما وان كثيرين يروون لك امورًا خارقة العادة ثم اذا دققت البحث لم ترَ فيها شيئًا من الخوارق بل رأيت الذين رووها قد ذكروا امورًا لا صحة لها وبنوا احكامهم على ما زيَّنهُ لهم الوهم او على ما خدعوا بهِ انفسهم . فالحادثة التي ذكر فيها موت المرأة المسكينة المسماة مسز ائتس وان طيفها ظهر للفتاة في غرفة المائدة لا دليل على صحتها الاَّ قول الفتاة نفسها وقول امها انها كتبتْ ذلك في يوميتها . اما قول الفتاة فمعرَّض للتحريف والمبالغة لانهُ لم يدوَّن في القرطاس ولا يُعتمد على الذاكرة في هذه المسائل لان اللواتي يرين هذه الرؤى هنَّ من ذوات المزاج العصبي الذي يغلب التخيل فيهِ . ولا يعتمد على ما كتبتهُ امها في يوميتها لانها كتبتهُ بعد ان بلغها موت المرأة . وزد على ذلك ان الاستاذ سدجوك لم يرَ هذه اليومية . والمرجح عندنا انهُ لو رآها لوجدها غير منطبقة على ما كتبتْ بهِ اليهِ . فقد روي عن كثيرات انهنَّ شهدنَ بامور وقعت امام عيونهنَّ ثم ظهر ان هذه الامور وقعت قبل ولادتهن وهنَّ لم يقصدنَ الكذب في ما روينهُ ولكنهنَّ سمعنهُ من صغرهنَّ فتوهمن انهنَّ رأينهُ مرأى العين

والطبيب الذي ادَّعى انهُ راى طيف زوجتهِ ادَّعى انهُ كتب ذلك في كتاب بعث بهِ اليها وانها اجابتهُ على كتابهِ بكتاب آخر وحفظ الكتابان مدَّةً ثم فقدا فلو وُجدا الآن

لانحلّ بها مشكل من اعظم المشاكل واستحقا ان يُحفظا بين جواهر الملوك ولكنها ضاعا لسوء الحظ وما ادرانا ما فيها . وعندنا انهما لو وُجدا لما ظهر فيهما شيء خارق . والارجح عندنا ان الطبيب حلم بامراتهِ او اناهُ هاجس عنها وكتب اليها عن ذلك ثم سمع قصةً غريبة من هذا النوع فبالغ هو وزوجتهُ في قصتها حتّى صارت غريبةً مثل القصة التي سمعاها وظلاّ يزيدانها غرابةً كلما كرّرا روايتها حتّى بلغت الحدَ الذي وصلت بهِ الى الاستاذ سذجوك

وقد ذكرنا غير مرةٍ ان اثنين من العلماء جمعا كتابًا كبيرًا ممّا يروى عن الخيالات والتخيلات ونشراهُ في مجلدين ضخمين وقد نظر فيهِ العلاّمة وليص الشهير قسيم دارون في مذهب النشوء والارتقاء وحكم ان كثيرًا من الخيالات المذكورة في هذا الكتاب وفي غيره من الكتب هي خارجيّة حقيقية لا داخليّة وهمية بدليل ان بعضها يراهُ او يسمعهُ اثنان او ثلاثة في وقت واحد و بعضها يراهُ اشخاص مختلفون واقفًا في اماكن مختلفة او يُرى قائمًا في مكان واحد ولو غيّر الرائي مكانهُ . و بعضها يؤثر في المجاورات و بعضها يفعل افعالاً طبيعية و بعضها يمكن تصويرهُ صورًا فوتوغرافية . وقد ذكر لكل من ذلك امثلة كثيرة فمن النوع الاول ان رجلاً اسمهُ دري راى طيف فتاة لابسة ثوبًا ابيض وتكرر ظهورها لهُ مرارًا عديدة مدة عشر سنوات ورآها بناتهُ الثلاث وخادمتهنّ وزوج واحدة منهنّ . ورآها هري هذا مرةً في غرفتهِ فتقدّمت من سريرهِ وازالت الكلّة عنهُ . وذات مرة رآها البنات الثلاث وخادمتهنّ معًا . ومنها ان فتاتين وصيًّا كانوا راكبين مركبةً وسائرين في احد البساتين فرأوا خيال امراةٍ لابسة ثيابًا بيضاء طائرة فوق سور البستان وخاف فرس المركبة منها حتّى تعذّر عليهم سوقهُ ودام ذلك دقيقتين من الزمان . ومنها ان احد القسوس كان يسمع هو وعائلتهُ صوتًا مثل طرق المطارق وذلك من نصف الليل الى الصباح وظلوا يسمعون هذا الصوت في بيتهم مدة عشرين سنة

ومن النوع الثاني ان القس متنورد الاميركي نزل ضيفًا على احد اصدقائهِ في مكان اسمهُ نورفورك فرأى يومًا مركبة فيها اخو صديقهِ وزوجتهُ آتية نحو البيت الذي كان فيهِ ورآها معهُ اثنان آخران وانتظروا مدةً ليروها داخلين من الباب فلم يدخلا و بعد خمس دقائق انت ابنة الرجل الذي نُظر في المركبة وقالت انها رأت اباها وامها آتيين نحو البيت ولكنهما لم يلتفتا اليها على غير عادتهما . ثم بعد عشر دقائق اتى الرجل وزوجتهُ في المركبة وقالا انهما اتيا من بيتهما توًّا ولم يجدا عن الطريق لا يمنة ولا يسرة . فهؤلاء الاربعة رأوا الرجل

وزوجته في المركبة قبلما ركبا فيها . وقد صدّق المستر وَلِس هذه القصة على غرابتها وبنى عليها حكمًا اغرب منها كما سيجيء

ومن النوع الثالث الحادثة التي ذكرناها اولاً وهي خوف الفرس من خيال المرأة التي ظهرت طائرة فوق سور البستان ومنه حادثة ذكرها الجنرال بارتر وهي انهُ راى خيال فارس وسائسين في بلاد الهند وكان يصطاد في الفياض ومعهُ كلبان فنزع الكلبان واختبئا بجانبهِ وها يهرّان ولمّا رأيا انهُ قام وتبع الخيال لم يتبعاهُ بل رجعا الى البيت وكانا قبل ذلك لا يفارقانهِ . واستشهد المستر وَلِس بشواهد اخرى من هذا القبيل اضربنا عن ذكرها لضيق المقام ومؤدّاها كلها ان العجماوات تشاهد الخيالات وتسمع اصواتها وترتاع منها فهي حقيقيّة على زعمهِ لا وهمية في مخيّلة الانسان

ومن النوع الرابع رؤية الخيالات تفتح الابواب وتدخل البيوت وتطفئ المصابيح وسماعها تدق الاجراس . من ذلك حادثة ذكرها الماجور مور احد اعضاء الجمعيّة الملكية . قال ان الاجراس كانت تدق في بيتهِ من نفسها مرارًا كثيرة كل يوم بغير ان يدقها احد من الناس وانهُ بحث عن سبب دقها بحثًا دقيقًا فلم يعرف السبب الى ان قال "وانا مقتنع الآن تمامًا ان دقها ليس بقوة بشريّة" ولما نشر هذا الخبر ورد عليهِ اخبار قائلة من اربعة عشر مكانًا احدها من الملازم ربفرس رفيق الاميرال نلسن قال ان الاجراس كانت تدق في المستشفى الذي كان نازلاً فيهِ وقد بحث كثيرون من العلماء والصناع عن سبب دقها فلم يقفوا عليهِ

ومن النوع الخامس تصوير ممبلر المصوّر الاميركي لكثير من الخيالات التي كانت تظهر لهُ . وقد أُدّعي على هذا الرجل بأنهُ خادع فحاكمتهُ الحكومة على ذلك ولما لم يمكنها ان تثبت عليهِ الخداع اطلقت سبيلهُ . قال المستر وَلِس وكثيرًا ما كان غيرهُ يصورون الناس بآلاتهم ومواده الكيماويّة فاذا كان ممبلر حاضرًا ووضع يدهُ على آلة التصوير ظهرت في الصورة خيالات أُخرى مع صورة المصوّر . وذكر كثيرون من الثقات انهم كانوا يطلبون من المصور أن يصور لهم احد الذين ماتوا من عهد طويل فيصورهُ لهم مع انهُ لم يرَ صورتهُ في حياتهِ

وقد افاض المستر وَلِس في هذا الموضوع وذكر حوادث أُخرى كثيرة من نوع ما تقدّم وعلّل ذلك كلهُ بأن ارواح الموتى تتجلّى لبعض الناس فتنبئهم بما لا يعلمون وقد لا نصدّق في اقوالها واعمالها لانها غير معصومة من الخطإ ولانها تختار مرارًا ان تمزح مع الاحياء وتسلّي

نفسها . وعندهُ انها هي التي تسبّب الاحلام والهواجس والخيالات والتخيّلات وانها تسلي بذلك كما تسلى نحن الاحياء بلعب البلياردو والامتحانات الكيماوية . هذه خلاصة مذهب المستر ولص في تعليل الخيالات والتخيّلات وما اشبه . ولو لم نرَ ذلك مكتوبًا بقلمهِ في جريدة من اشهر الجرائد العلمية الفلسفية ما صدّقنا انهُ يمكن ان يصدر عن مثلهِ من العلماء مع علمنا بانهُ من زعماء المعتقدين بتجلي الارواح المعروف بالسبرتزم

وهب ان ارواح الموتى تتجلّى لبعض الناس بصور منظورة وتتكلم معهم كلامًا يسمعونهُ وتفتح الابواب وتقرع الاجراس وتطفئ الاضواء فهل تستطيع ان تصوّر لهم صور الناس والخيل والمركبات وتريهم اياها سائرةً على الطريق كانها حقيقةٌ لا وهم وهب انها تستطيع كل ذلك فهل تستطيع ان تنبئهم بالمستقبلات قبل وقوعها . فقد ذكر المستر ولص ان انسانًا منعهُ الروح من الذهاب الى الصيد مع بعض الرفاق فذهب الرفاق وحدهم وغرقوا كلهم وحتم بان الروح علمت ما سيصيبهم فمنعتهُ من الذهاب معهم لكي ينجو من الغرق ونسي انهُ وصف هذه الروح بصفة الهية وهي معرفة الغيب وما سيحدث في المستقبل وحرمها من اخرى وهي الشفقة على اولئك الرفاق فانها لو حذّرتهم كما حذّرتهُ لنجوا من الغرق كما نجا

ومن الغريب ان كثيرين من العلماء اضاعوا وقتهم في تعليل بعض الحوادث التي من هذا القبيل ثم تبيّن لهم انها لم تحدث كما رُويت لهم فاضاعوا الوقت في تعليلها عبثًا . وهذا شأن المستر ولص وغيرهِ من العلماء الذين يحذون حذوهُ فانهُ لما انتشر كتابا غرني وميرس المشار اليهما آنفًا كتب المستر إنس في جريدة القرن التاسع عشر الانكليزية يطلب البيّنات التي تثبت صحة الحوادث المذكورة في ذينك المجلدين وافتتح مقالتهُ بكلام قصهُ عليهِ احد اصدقائهِ وهو قولهُ كنت في مدرسة ابردين في السنة الاولى والثانية من دخولي المدرسة وبقي اخي في البيت وكان بيتنا على مشي ميل من المدرسة واطلتُ الدرس في احدى الليالي ثم نمت فحلمت ان اخي كان صاعدًا على سور المدرسة التي بقرب بيتنا فزلّت قدمهُ وسقط واشرف على الخطر فتلفتُّ من جرّاء ذلك وقمت في الصباح وكتبت الى امي اخبرها بالحلم الذي حلمتهُ واتفق انهُ ورد لي كتاب منها قبل ان وصل كتابي اليها تخبرني فيهِ ان اخي سقط وهو يحاول الصعود على سور المدرسة . وبعد مدة مات من اثر تلك السقطة . قال المستر إنس فلما سمعت منهُ هذه القصّة سألتهُ عن هذين الكتابين ولمّا لم يبدِ جوابًا قلت لهُ انهُ لم يكن بين نساء اسكتلندا امرأةٌ اعقل من امك فلو اتاها كتاب منك بالصفة التي ذكرتها لحفظتهُ اشد الحفظ ولم تفرّط بهِ ابدًا . فقال اظنك تعني انهُ كان يجب عليَّ انا ايضًا ان

اتحفّظ على كتاب امي فقلت انهُ لو وُجد الآن هذان الكتابان وكانا بالصفة التي ذكرتَ ووجدت عليهما طوابع البوسطة تدل على تاريخ ارسالها وثُبت انك كتبت لامك قبل ان يصل كتابها اليك وكتبتْ اليك قبل ان يصل كتابك اليها لاثبتا صحة هذه الحادثة اثباتًا ينفي كل ريب . وقد تلطفتُ في الجواب بقدر طاقتي لان الرجل كهل وانا كنت شابًا وكان قد مضى على هذه الحادثة اربعون سنة فلم احاول نزعها من ذهنهِ . ثم افاض المستر إنس في هذا الموضوع وبيّن انهُ لا يمكن اثبات حادثة واحدة من جميع الحوادث المذكورة في الكتاب الذي نشرهُ غرني وميرس

فاجابهُ المستر غرني في شهر اكتوبر سنة ١٨٨٧ وقال ان الذين تحدث لهم هذه الحوادث يكتفون بإخبار غيرهم بها شفاهًا وقلَّما يكتبون ذلك الى احد . واذا كتبوا فيندر جدًّا ان يعتني احد بحفظ هذه المكاتيب لاسيما وان الناس لا يحسبون لها قيمة حتَّى الآن . وكان بين الحوادث التي انتقدها المستر إنس وطلب اقامة الدليل على صحتها حادثة امرأة مؤلفة قيل في الكتاب انها ساحت في اميركا وتعرَّفت برجل اسمهُ جم الجبل فاعتبرها اعتبارًا دينيًّا واسرَّ اليها ببعض الامور وطلب منها ان تعدهُ بحفظ سرّهِ سواء كان حيًّا او ميتًا فوعدته بذلك ولكن حفظ هذا السر ازعجها حتَّى انها كانت تقلق في بعض الليالي وتفتكر بهِ وقد ثبت من كتاب كتبتهُ بعد ذلك انها كانت دائمة التفكُّر بهذا الرجل وزاد تفكُّرها بهِ لان آخر كلمة قالها لها قبلما خرجت من اميركا هي « انني ساراكِ حينما اموت » . وبعد ثمانية اشهر ورد اليها وهي في اوربا انهُ جُرح في كولورادو باميركا وشفي من الجرح وهو يدبّر التدابير للاخذ بالثار . وبعد ذلك بقليل رأت الرؤيا الآتية وهاك نصها منقولاً عن الكتاب المشار اليهِ آنفًا . قالت ما ترجمتهُ

" بُعيد ان بلغني هذا الخبر في شهر سبتمبر احد شهور سنة ١٨٧٤ كنت مضطجعة على سريري في نحو الساعة السادسة قبل الظهر اكتب الى اختي ولما رفعتُ عينيَّ رأيت جم الجبل واقفًا امامي ناظرًا اليَّ فقال لي بتأنٍّ ووضوح تامٍّ لقد اتيتُ كما وعدتُ ثم اشار بيدهِ اليَّ مودعًا . ولمَّا جاءت فلانة الى غرفتي بالفطور دونًا الحادثة بتاريخها وساعة حدوثها . ثم جاءنا خبر موتهِ بعد ذلك فوجدت انهُ مات في الوقت الذي رايت خيالهُ فيهِ تمامًا اذا اعتبرنا الفرق في الطولين " ثم قالت انها ستري مؤلفي الكتاب يومبتها التي فيها تاريخ هذه الرؤيا

فارتاب المستر إنس في دعوى هذه المرأة ولام المستر غرني ورفاقهُ لانهم لم يسعوا لرؤية

اليومية فكان جواب المستر غرني انهُ ظهر لدى اعادة البحث ان هذه المؤلفة لم تأخذ في كتابة يوميتها الاَّ بعد ذلك بمدة ولكنها كتبت ما تقدَّم في كتاب الى اختها ولم تكتب الكتاب حين رأت الرؤيا بل بعد مدة لانها تقول فيهِ «رأيتُ منذ ايام» الى ان تقول "واني اشعر الآن كأنهُ قال لي حينئذٍ لقد اتيتُ كما وعدت ". ومفاد ذلك اولاً ان هذه المؤلفة اخطأت عمدًا او وهمًا بقولها انها كتبت الحادثة في يوميتها وثانيًا انها لما كتبت لاختها بعد ذلك لم تقل ان الخيال قال لها كذا وكذا بل قالت انني اشعر الآن كأنهُ قال لي كذا وكذا وبين القولين بون شاسع كما لا يخفى . وبما ان كتابها الى اختها لا تاريخ فيهِ فلا يبعد انها حلمت بالرجل المشار اليهِ قبل ان شاع خبر وفاتهِ فلما شاع الخبر علقت الحلم بالوفاة وكتبت الى اختها ما كتبت . اما قولها انها كتبت ذلك في يوميتها في الساعة السادسة صباحًا (وهي في سويسرا) وان ذلك ينطبق على الوقت الذي قُتل فيهِ وهو الساعة الثانية بعد الظهر في اميركا فاختلاق من عندها رسمهُ الوهم في نفسها فجاهرت بهِ غير خائفة لومة لائمٍ اذ قد ثبت باقرارها بعد ذلك انها لم تشرع في كتابة يوميتها الاَّ بعد ذلك بزمان . وعندنا انهُ لو دُقِّق البحث في كل الروايات التي تروى من هذا القبيل لزال منها كل غرابة وامر خارق العادة

ومن هذا القبيل حادثة كتبها السر ادمند هرنبي رئيس قضاة المجلس القنصلي الاعلى في الصين و يابان الى الاستاذين غرني وميرس المتقدم ذكرهما ونشراها في جريدة القرن التاسع عشر قال

"كان مكاتبو الجرائد يأتون بيتي في شنغاي ليأخذوا مني الاحكام و ينشروها في جرائد الصباح وكان بينهم محرر غريبُ الاطوار . وفي ذات يوم سنة ١٨٧٥ او ١٨٧٦ دخلتُ مكتبي بعد العشاء وكتبتُ الحكم على جاري عادتي ووضعتهُ في غلاف واعطيتهُ للخادم وقلتُ لهُ ان يعطيهُ لهذا المحرر حينما يأتي وكانت الساعة الحادية عشرة ونصف ليلاً . ثم دخلتُ غرفتي ونمتُ في سريري قبل الساعة الثانية عشرة . وانا خفيف النوم استيقظ حالاً بخلاف زوجتي فانهُ يصعب ايقاظها ولاسيَّما في اول نومها وكان في غرفتنا ساعة ومصباح ضعيف النور كنت ارى بهِ الساعة كلما استيقظتُ وكان ذلك عادة فيَّ . ولم انم الاَّ قليلاً حتَّى استيقظت بسماعي واحدًا يدق باب المكتبة فظننتُ انهُ الخادم دخل ليرى ما اذا كان المصباح مطفأً وبعد قليل سمعتهُ يدق باب غرفتنا فقلتُ لهُ ادخل ففتح الباب ودخل واذا هو المحرر المشار اليهِ فجلستُ في سريري وقلتُ لهُ هذه ليست غرفة المكتبة فاخرج واطلب

الحكم من الخادم فقال نعم انني اخطأت بدخولي الى هنا ولكنني دخلتُ لانني لم اجدك في مكتبتك . فأخذ الغيظ مني كلَّ مأخذ وكدتُ انهض من سريري واطردهُ ولكنني تصبَّرتُ قليلاً وقلتُ له لقد اسأتَ كل الاساءة في دخولك الى هنا فاخرج عاجلاً . فاستند الى السرير . وجلس عليهِ فالتفتُّ الى الساعة واذا هي الساعة واحدة وثلث بعد نصف الليل فقلت له ان ورقة الحكم مع الخادم وهو يعطيك اياها فاخرج وخذها منهُ . فقال المعذرة يا مولاي فانك لو عرفت امري لعذرتني فاتوسَّل اليك ان تملي عليَّ خلاصة الحكم حتَّى اكتبهُ ثم اخرج دفترًا من جيبهِ فقلتُ بل انزل وفتش عن الخادم وخذ صورة الحكم منهُ ولا تتكلم ايضًا لئلاَّ توقظ زوجتي . ثم قلتُ لهُ مَن ادخلك الى هنا فقال لا احد فقلت هل انت سكران فقال كلاَّ وما عدتُ لاسكر ولكني اتوسَّل اليك ان تملي عليَّ خلاصة الحكم لان وقتي قصير . فقلت الظاهر انك لا تبالي بوقتي فهذه آخر مرة ادع احدًا من مكاتبي الجرائد يدخل بيتي فقال هذه آخر مرة أراك فيها

وخفتُ ان تستيقظ امرأتي وتخاف منهُ فامليتُ عليهِ خلاصة الحكم فكتبهُ كتابة مختصرة ثم نهض واعتذر اليَّ عن دخولهِ في غرفتي وشكرني على ما عاملتهُ بهِ من اللطف دائمًا ثم فتح الباب وخرج وكانت الساعة واحدة ونصفًا بعد نصف الليل . واستيقظت زوجتي حينئذٍ حاسبة انها سمعتْ واحدًا يتكلم فاخبرتها بما حدث . وذهبتُ الى المحكمة في الصباح وجاء خادم المحكمة ليلبسني ثوب القضاء وقال لي حدث امر محزن في الليل الماضي فان فلانًا (المحرّر) وجد ميتًا في بيتهِ فقلت متى وماذا اصابهُ فقال يظهر انهُ دخل غرفتهُ الساعة العاشرة وجلس يكتب ودخلت امرأتهُ عليهِ الساعة الثانية عشرة وقالت لهُ متى تنتهي من الكتابة فقال عليَّ ان اكتب حكم القاضي فقط . ولمَّا ابطأ عادت اليهِ قبل الساعة الاولى بربع ساعة ووصوت من الباب فوجدتهُ لم يزل جالسًا يكتب وعادت بعد ثلاثة ارباع الساعة فظنتهُ نائمًا وتقدَّمت لتوقظهُ فوجدتهُ ميتًا ودفترهُ مطروح على الارض . فاستحضرتُ الدفتر فوجدتُ فيهِ ما يأتي "حكم رئيس القضاة هذا الصباح في الدعوى" ويتلو ذلك كلام لا يقرأ . واستدعيتُ قاضي التحقيق وطلبتُ اليهِ ان يبحث عما اذا كان هذا الرجل خرج من بيتهِ بين الساعة الحادية عشرة والاولى ليلاً وعن الساعة التي مات فيها فثبت من الفحص الطبي انهُ مات بمرض قلبي وانهُ لم يخرج من بيتهِ في ذلك الليل . وتفحصتُ بيتي وسألت خدمي بالتدقيق فوجدتُ انهُ لم يدخلهُ احد في ذلك الليل ولم يكن دخول احد ممكنًا لان الابواب كانت مقفلة وبقيت مقفلة الى الصباح . واستفصصتُ زوجتي ما قصصتهُ عليها حينما استيقظت

فقصَّتْ عليَّ القصة كما حدثت تمامًا . ولم اخبر بهذه القصة حينئذٍ الَّا قاضيًا من القضاة الذين معي واثنين من اصدقائي لانني لم اشأ نشرها في الجرائد " انتهى

فهذه القصة على ما رواها السر ادمند هرنبي صريحة بان روح الميت تجلَّت له قبل مفارقتها الجسد في صورة جسمية وتكلَّمت معهُ وكتبتْ ما كتبتْ في الدفتر . وراوي هذه القصة من القضاة المشهورين الذين يعتمد على قولهم وحكمهم . وقد نُشرت روايتهُ لها في جريدة القرن التاسع عشر الانكليزيَّة ولم يمضِ على نشرها ثلاثة اشهر حتَّى كتب المستر بلفور محرر جريدة الصين الشمالية في شنغاي يقول انهُ يعرف القاضي السر ادمند هرنبي ويعرف ايضًا المحرر الذي قصَّ عنهُ هذه القصة وان زوجة السر ادمند هرنبي الثانية توفيت قبل وفاة هذا المحرر بسنتين ولم يتزوَّج ثالثة الَّا بعد وفاة المحرر بثلاثة اشهر فلما توفي المحرر لم يكن للسر ادمند هرنبي زوجة حية . ثم قال ان السر ادمند ذكر ان الجثة فُحصت فحصًا طبيًّا ولكنَّ قاضي التحقيق نفسهُ قال لي ان الجثة لم تفحص فحصًا طبيًّا . وذكر انهُ حكم في مسألة ذلك اليوم ولكن الجريدة الرسمية لا تذكر شيئًا من امر هذا الحكم وذكر ان المحرِّر مات في الساعة الاولى بعد نصف الليل والصحيح انهُ مات في الساعة الثامنة صباحًا

وعُرِض هذا الكتاب على السر ادمند هرنبي قبل نشرهِ فلم يخطئهُ في شيء بل قال انهُ روى القصة كما تذكَّرها فاذا اخطأ فليس عن قصد منهُ وانهُ كان يظن ان ما حفظهُ في ذاكرتهِ صحيح . ثم نُشر كتابهُ وكتاب المستر بلفور في جريدة القرن التاسع عشر

وفي هذه الحادثة والتي قبلها دليل كافٍ على صحة ما قدمناهُ وهو ان الذين يروون هذه الغرائب قد يعتمدون على اوهامهم فيخدعون انفسهم ويخدعون غيرهم

وفيما نحن نكتب هذه السطور رأينا شابًّا من سكان القاهرة عصبي المزاج وهو احد توأمين مشهورين هنا بشدَّة المشابهة بينهما وقد مات اخوهُ منذ مدة وجيزة . فقصَّ علينا القصَّة الآتية قال كان المرحوم اخي يشتغل مع المحامي فلان وكان مستلمًا جميع اوراق الدعاوي وقد اخبرني قبل وفاتهِ ان كل اوراقهِ مرتبة في اماكنها . ولكن المحامي جاءني منذ مدة وقال لي ان اخاك استلم اوراق دعوى ذات شأن فيها صكوك من غرْدون باشا ولا اعلم اين وضعها وقد فتشتُ عنها في مكتبي فوجدت اوراق كل الدعاوى واما اوراق هذه الدعوى فلم اقف لها على اثر فهل اخبرك عنها بشيء قبل وفاتهِ . فقلتُ كلَّا بل قال لي ان كل الاوراق مرتبة في اماكنها . فطلب مني ان امضي الى مكتبهِ واساعدهُ في التفتيش عن هذه الاوراق فذهبتُ وفتشتُ طويلًا فلم اعثر عليها وعدت في المساء متعبًا مضطرب الافكار لان المحامي

كان مغتاظًا جدًّا من اضاعة هذه الاوراق حاسبًا ان اضاعتها تثلم صيتهُ عدا ما لها من القيمة المالية ولم يحاذر من اطلاعي على ذلك . وقمتُ وانا مشتغل البال فخلتُ في نومي انني رأيتُ اخي في روض اريض وهو واقف ومسند ظهرهُ الى ساق شجرة فقابلني باشًّا وجعلتُ احضهُ على الرجوع معي الى البيت ثم خطرت ببالي اوراق الدعوى فسألتهُ عنها فوضع يدهُ على جبينهِ وتأمَّل قليلاً كمن يعمل فكرتهُ ثم قال ان المحامي قد اوصاني ان احترس على هذه الاوراق فلم اضعها بين اوراق الدعاوي العادية بل وضعتها بين كتبهِ الفقهية في مكتبتهِ الخصوصية فانك تجدها هناك قال ذلك واختفى من امام عينيَّ . وجاءني في الصباح رجل من قبل المحامي وطلب مني ان اذهب الى المكتب لاستئناف التفتيش فاعتذرتُ عن الذهاب بانحراف صحتي ولكنني قصصت عليهِ الرؤيا وطلبتُ منهُ ان يفتش بين كتب المحامي فتشوا عنها ووجدوها هناك كما انبأني طيف اخي تمامًا

وهذه القصَّة على غرابتها لها عندنا تفسير معقول وهو ان المتوفَّى اخبر اخاهُ عن المكان الذي وضع فيهِ اوراق هذه الدعوى قبل وفاتهِ ولكن اخاهُ كان مشغول البال حينئذٍ فلم ينتبه الى ما اخبرهُ بهِ اخوهُ ولم يتذكَّر منهُ شيئًا . فلما سمع كلام المحامي وفتَّش عن الاوراق ولم يجدها تنبَّهت قواهُ العقلية تنبُّهًا شديدًا فتذكَّر وهو نائم ما قالهُ لهُ اخوهُ قبل وفاتهِ ولما تذكَّر ذلك تذكر اخاهُ فحلم بهِ على الصورة المتقدمة . ولا يخفى ان الانسان كثيرًا ما يسمع خبرًا ولا ينتبه اليهِ فيحسب انهُ لم يسمعهُ قط وهو كما لو رأيتَ عصفورًا يغرِّد في قفص فابتهجتَ برؤيتهِ وطربت بتغريدهِ فوقفت هنيهةً تنظر اليهِ ثم سرت في طريقك فانهُ قد يسألك حينئذٍ سائل عن العصفور وتغريدهِ فتصفها لهُ احسن وصف ثم يسألك عن القفص أأخضر هو ام اصفر فلا تذكر شيئًا من امرهِ كأنك لم تَرَهُ قط مع انهُ يستحيل ان ترى العصفور ولا ترى القفص ولا بدَّ من ان تكون صورة القفص قد وقعت على عينيك وانطبعت في ذهنك حينما وقعت عليها صورة العصفور وهذه الصورة التي لم تنتبه اليها في الحال قد تبقى في ذهنك اعوامًا بل سنين قبلما ينتبه اليها العقل ثم ينتبه اليها بغتة

وقد مضى الآن خمس سنوات منذ نشر غربي وميرس كتابهما المشار اليهِ آنفًا وانتقدهُ المستر إنس وطلب البينات على صحة الحوادث المذكورة فيهِ . ومن ذلك العهد الى الآن وهم يجمع المباحث النفسيَّة يبحث و يفتش فلم يمكنهُ ان يثبت حادثةً واحدةً من جميع الحوادث التي ذُكرت في هذا الكتاب ثبوتًا ينفي كل ريب بل لم تحدث حادثة واحدة بعد ذلك في اوربا واميركا واسيا ثبت فيها ظهور الخيالات او التخيلات وانباؤها بشيء مستقبل ثم وقوع ذلك

الشيء كما انبأت . وقد توفي المستر غرني سنة ١٨٨٧ وخسر العلم بموته خسارة لا تقدَّر لانهُ كان من اشهر الباحثين ولكن المستر ميرس رصيفهُ والمستر بدمور الذي ناب منابهُ لم يثبتا حتَّى الآن شيئًا من دعاوي مجمع المباحث النفسيَّة بل ان المستر بدمور اعترف علانيةً ان مباحث هذا المجمع وكل الحوادث التي تفحَّصها لا تثبت ان بين الاموات والاحياء اقل علاقة . واعترف المستر ميرس ايضًا ان الاحياء لا يؤثر احدهم بالآخر ما لم يكن بينهم اتصال قريب

وخلاصة ما تقدَّم انهُ لم يثبت حتَّى الآن ان شيئًا من الخيالات خارجي حقيقي وان الروايات التي تنسب امورًا خارقةً الى هذه الخيالات لم تثبت صحة رواية منها حتَّى الآن . وانهُ لم يروَ عن البشر امرٌ ثبت حدوثهُ في زماننا الاَّ ويمكن تعليلهُ بنواميس العقل ونواميس الطبيعة المعروفة وهذا لا يوجب نفي الخوارق والكرامات والعجائب كما لا يخفى على البصير

هذا وسيجتمع مؤتمر علماء العلوم النفسية في مدينة لندن في الثاني من اغسطس (آب) سنة ١٨٩٣ برئاسة الاستاذ سدجوك ويكون فيهِ نواب من فرنسا وايطاليا وجرمانيا والدانيمرك وروسيا والولايات المتحدة الاميركية وكثيرون من العلماء الانكليز المشهورين كالدكتور رومانس وغيرهِ وسنطلع حضرات القرَّاء على ما يكون من نتيجة بحثهِ في هذه المسائل ونحوها

تنبيه * قد نقلنا الحوادث المذكورة في هذه المقالة عن المجلد السادس عشر والثاني والعشرين والثلاثين من جريدة القرن التاسع عشر وعن المجلد الرابع من جريدة النيو رفيو وعن المجلد الاخير من جريدة الارينا وذلك من مقالات كثيرة لغرني وميرس وإنس وسدجوك ووليس وكلهم من الثقات في هذه المباحث

كلام القرود

كان الناس يؤلِّهون الحيوان الاعجم ويعبدونهُ ثم ترفَّعوا عليهِ من ايام افلاطون الحكيم ووضعوا بينهُ وبينهم حدًّا لا يتعدَّاهُ . وزادوا في تحقيرهِ رويدًا رويدًا الى ايام الفيلسوف دكارت الفرنسوي الذي حسبهُ آلة ميكانيكيَّة لا غير . ولكنهم عادوا بعد ذلك يرفعون قدرهُ الى ان ادَّعى علماء البيولوجيا ان الانسان مرتقٍ من الحيوان الاعجم وان اصول عقلهِ موجودة كلها في عقل الحيوان

وبالامس قام الاستاذ غرنر الاميركي وادَّعى ان للقرود لغةً تتكلَّم بها وانهُ تعلَّم هذه اللغة منها وخاطبها بها وحلَّلها بالآلة التي تحلِّل كلام الانسان فوجدها مؤلفة من الاصوات التي